



الدرس
الرابع عشر
أخلاق الصائم

عناصر الدرس:

- ١ - رمضان مدرسة تربوية للمسلم.
- ٢ - رسول الله ﷺ أكمل الناس خلقاً.
- ٣ - أثر الصيام في أخلاق المسلمين.
- ٤ - ثمرات حسن الخلق.



الدّرس الرابع عشر

أخلاق الصائم

رمضان مدرسة تربية للمسلم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَّامُ جَنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ». [رواه البخاري ومسلم].

رمضان شهرٌ لتربية النفس على الأخلاق الحميدة والسجايا المجيدة.
بل إن من أعظم مقاصد الصوم هو الارتقاء بهذه النفس إلى أسمى الأخلاق وأرفعها، وترويضها على العفة عن سيئ الأخلاق وقبيح الأفعال، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» [رواه البخاري].

رسول الله ﷺ أكمل الناس خلقًا:

رسول الله ﷺ أرفع الناس خُلُقًا، وأزكاهم نفسًا، وأتقاهم قلبًا، وقد زكاه ربه في خُلُقِهِ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا). [رواه البخاري ومسلم].
ولما سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ قالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ) [رواه مسلم وأحمد واللفظ له].

فالنبي ﷺ خير قدوة وأعلى مثل في ذلك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] .

أثر الصيام في أخلاق المسلمين:

الأخلاق باعتبار مصدرها وأصلها تُقسَمُ قسمين:

أولاً: أخلاق جبليّة غريزية: أي فُطِرَ عليها الإنسان، وخلقها الله فيه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» [رواه مسلم]، وفي رواية عند أبي داود: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ». قال: يا رسول الله، أنا أتخلّق بهما، أم الله جَبَلَنِي عليهما؟ قال: «بل اللهُ جَبَلَكَ عليهما». قال: الحمد لله الذي جَبَلَنِي على خلتين يحبهما الله ورسوله. [حسنه الألباني].

ثانياً: أخلاق مُكتَسَبة: يمكن تحصيلها بالتعلم والتعود عليها، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» [أورده البخاري معلقاً، وفي رواية غير البخاري: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ» [حسنه الألباني].

والصيام أفضل ميدان لاكتساب أفضل الأخلاق وأهنأها، وأطيب الأفعال وأزكاها.

ومن المعلوم أن حسن الخلق تظهر آثاره على الإنسان في أقواله وأفعاله، وينعكس على تعامله مع غيره، قال الحسن البصري رضي الله عنه: (حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ) [الآداب الشرعية ٣٠٥].

ويقول القاضي عياض رضي الله عنه: حسن الخلق هو مخالطة الناس بالجميل



والبشر، والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلط والغضب والمؤاخذه. [جامع العلوم والحكم].

وهذه الأعمال - كما هو جلي - مرغوبة طبعاً، ومطلوبة شرعاً، تنفع صاحبها قبل أن تنفع الناس، ولذلك يقول النبي ﷺ وهو يوصي أبا ذر رضى الله عنه: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». [رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح].

ثمرات حسن الخلق:

إن للأخلاق الحسنة آثاراً جليّة، وثماراً طيبة، تظهر على صاحبها في الدنيا، بطيب السمعة والذكر الجميل ومحبة الناس، وهذا من عاجل بشرى المسلم، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ جَنَازَةً مَرَّتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَقِيلَ لَهَا خَيْرًا، وَتَتَابَعَتِ الْأَلْسُنُ لَهَا بِالْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ». ثُمَّ مَرَّتْ جَنَازَةٌ أُخْرَى فَقَالُوا لَهَا شَرًّا، وَتَتَابَعَتِ الْأَلْسُنُ لَهَا بِالشَّرِّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ! أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ». [رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له].

كما أن للأخلاق الحسنة أعظم الأثر على العبد في الآخرة، ومن ذلك:

١- أن الخلق الحسن من أعظم أسباب دخول الجنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». [رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح غريب].

بل إن صاحب الخلق الحسن في أعلى درجات الجنة، فعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ

تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيَّتَ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيَّتَ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ» [رواه أبو داود، وصححه النووي].

٢- والخلق الحسن سبب لنجاة صاحبه من النار، والفوز برضا العزيز الغفار، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «عَلَى كُلِّ هَيْنٍ لَيْنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ». [رواه ابن حبان في صحيحه].

٣- وصاحب الخلق الحسن يبلغ أرفع الدرجات وأعلى المقامات بحسن خلقه، عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ». [رواه أبو داود وابن حبان].

٤- حسن الخلق من كمال الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا». [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

٤- صاحب الخلق الحسن يحبه الله ورسوله، ويكون قرب النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، كما أن سيئ الخلق يُبغضه الله ورسوله، عن جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهُقُونَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهُقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ». [رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب].